

العولمة في الفكر العربي الاسلامي المعاصر

Globalization in Contemporary Islamic Arab Thought

محمد الصغير دحية

طالب دكتوراه، جامعة الجزائر 2 ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم الفلسفة .

البريد الالكتروني : mohamedsdahia@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/02/09 تاريخ القبول: 2024/03/26 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

العولمة قضية جوهرية من قضايا الواقع المعاصر لأنها من نتاج الفكر الغربي الأوربي والأمريكي وهي نوع من الاستعمار طريقة في الهيمنة على الشعوب الضعيفة ، تتمثل في العولمة الاقتصادية والثقافية فيما يخص تكنولوجيات الاعلام والاتصال والعولمة السياسية التي تعبر عن الشرعية السياسية للدول الغربية، وتكلم عن إيجابياتها .

كلمات مفتاحية: العولمة، الدول الغربية، الدول الضعيفة

Abstract:

Globalization is a fundamental issue of contemporary reality because it is a product of Western European and American thought. It is a kind of colonialism, a way of dominating the weak peoples We talk about their pros and cons.

Keywords: **Globalization** ; Western countries ; WEAK COUNTRIES

1. مقدمة:

يعد مصطلح العولمة من المصطلحات الأكثر تداولاً بين الناس دون معرفة معناها الحقيقي وأبعادها الخفية فهي تمثل نسقا تزامنا ظهوره مع بروز النظام العالمي الجديد بعد تفكك المعسكر الشيوعي (الاتجاه السوفياتي)

وزوال القطبية الثنائية وسيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر المصدر الوحيد لهذا النظام والذي حاولت به التأثير على الشعوب الضعيفة من العالم الثالث والمجتمعات العربية لما تزخر به من ثروات وامكانيات ومن هنا تكون العولمة بمثابة السلاح الأبيض الذي استخدمته الشعوب القوية لانتهاك حرمان الدول فالعولمة سياسة امبريالية مقنعة وموجهة بخطة محكمة ومنظمة

هادفة من طرف هذه القوى لاستمالة هذه الشعوب الضعيفة وبالتالي الاستلاء على خيراتها ومغانمها ومن ثم تكون هذه الشعوب بمثابة المستجيب والمنفذ والتابع لتعاليم السيد الذي املاها عليها عنوة ودون سابق اندار وهذا كله ساهم في تعقيد مصطلح العولمة واضفى عليه نوعا من اللبس والغموض لما دعى الى اختلاف العلماء حوله .

فما المقصود بالعولمة ؟ ولماذا كل الحديث الراهن يدور حولها ؟
ماهي مكاسبها ؟ وهل فعلا العولمة أدت إلى صناعة عجلة تطور كل الشعوب ؟
لماذا هناك الكثير من الاصوات العالية التي تقوم ضدها ؟

المحور الأول: مفهوم العولمة ومظاهرها .

أولا- مفهوم العولمة:

1- لغة

إذا رجعنا الى مصطلح العولمة هي مشتقة من كلمة (عالم) وتعني الخلق والجمع عوالم بكسر اللام و(العالمون) أضاف الخلق وهي ترجمة للكلمة الانجليزية globalization وهي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل مشتقة من كلمة globe التي تترجم الى الكون أو الكوكب الأرضي هذا هو المفهوم اللغوي للعولمة فما هو تعريفها اصطلاحا ؟

2- اصطلاحا

ويقول محمد عابد الجابري ان "العولمة, Globalisation, Mondialisation" أنها تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة. والمحدود هنا هو أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وبمراقبة صارمة على مستوى الجمارك: تنقل البضائع والسلع، إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل خارجي، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة وما دامت العولمة تتصل بالحياة فهي اكيد تتمظهر على عدة اوجه في أي مجال من مجالات الحياة فما هي تجليات العولمة ؟.

ثانيا- مظاهر العولمة

1-العولمة الثقافية

وهي التي تهدف من خلالها القوى العظمى على نشر ثقافتها إلى الشعوب الأخرى لتفادي ظاهرة التمايز الثقافي والحضاري وخلق نوع من الخصوصية والنمذجة الثقافية المشتركة ووسيلتها في ذلك هي عملية الغزو الفكري والثقافي عن طريق وسائل الإعلام وقنوات البث الفضائي السمعية والبصرية وبالتالي ترسيخ عادات وقيم وتقاليد وسلوكات شعوب هذه الدولة العظمى في نفوس أفراد الدول الضعيفة من أجل التأثير فيها.

2-العولمة الاقتصادية

وتعني مساعي القوة السائدة التي تعتمد فكرة الليبرالية وهي جوهر النظام الرأسمالي على ترويج السلع الاستهلاكية والمواد المصنعة داخل اسواق شعوب الدول النامية من اجل بيعها وتحقيق أرباح طائلة عن طريق اسلوب الدعاية والتشهير بها وكذا إستنزاف الثروات والمواد الاولية الموجودة بهذه الدول ، وبالتالي تحويل العالم إلى سوق واحدة ومن ثم تطوير القدرات التنافسية وتوسيع دائرة الاعتماد المتبادل وایجاد أنماط جديدة في تقسيم العمل الدولي بدل الانماط التقليدية ، ومن وسائلها في ذلك صندوق النقد الدولي و البنك الدولي للإنشاء والتعمير ومنظمة الغات التي تنادي بحرية التجارة والشركات المتعددة الجنسيات إلخ.

3-العولمة السياسية

وتسعى من خلالها الولايات المتحدة الامريكية الى رفض التعدد الايديولوجي وفرض السيطرة على الشعوب الاخرى والتدخل في شؤونها عن طريق مؤسسات عالمية سياسية ودبلوماسية تم تشكيلها بإيعاز منها وتعد هي طرفا رئيسيا فيها من أجل إضفاء فكرة الشرعية الدولية وجواز مساهمتها في تسوية بعض المشاكل الدولية* والداخلية بحكم ما يخوله لها الحق الفيتو او المعارضة فهي تعمل على حل النزاعات و الازمات ونشر الديمقراطية وتكريس حقوق الانسان ولكن هذا في الظاهر فقط مع أن الحقيقة تبدو غير ذلك تماما ، ومن هذه المؤسسات التي تتخذها وسيلة للعولمة السياسية هيئة الامم المتحدة ، وهناك المؤسسات التي تتخذها وسيلة للعولمة السياسية هيئة الامم المتحدة ، وهناك من المفكرين من اعتبر العولمة السياسية ماهي إلا استعمار مقنع لفرض السيطرة وإقرار التفاوت بين الفقراء والأغنياء مثلما تحتوي العولمة على مظاهر وأليات فهي تملك نتائج وآثار فهناك من يؤيد فكرة العولمة ويدافع عنها وهناك خلاف ذلك من يعارضها ، فقد أدت إلى

إحداث ثورة كبيرة في عالم التكنولوجيا وما إنجر عنها من ثورة المعلوماتية والاتصال اللاسلكي جسّد فكرة التواصل عن بعد وحطم قيود الزمان والمكان بتجاوز الحدود الإقليمية في ظل فضاء عالمي واحتمالي سير نيتي يمثل بحق وطني جديد لا ينتمي لا إلى الجغرافيا ولا الهوية في عالمنا التقليدي الذي وثناه عن الأباء والأجداد الذي هو عالم مادي بحت.

بعد تحليل مظاهر العولمة في مجالات شتى من الحياة سواء الاقتصادية او الثقافية او السياسية او الاجتماعية لابد ان لها انعكاسات ايجابية وسلبية عليها فما هي هذه ايجابيات وسلبيات العولمة ؟

المحور الثاني: ايجابيات العولمة وسلبياتها

1- ايجابيات العولمة

أدت العولمة كذلك إلى إنتشار النزعة العالمية نحو التكتل والإندماج بين الدول التي تربطها مصالح إقتصادية مشتركة أي إتساع دائرة التكتلات الإقليمية والدولية .
كما أنها قامت بتوسيع الأسواق وتحرير التجارة وما ينجر عنه من تطوير وسائل الإنتاج والمنتوج وتقديمه بأسعار مناسبة والعولمة أدت إلى زيادة في حجم التجارة الدولية حيث سجلت نسبة نمو التجارة الدولية منذ بداية العقد الأخير من القرن العشرين حوالي 06 بالمئة ، كما سمحت بنقل التكنولوجيا للعالم الثالث وإرتفاع حجم الصادرات الأولية لكثير من البلدان النامية وإختفاء الأنماط التقليدية لتقسيم العمل وظهور أنماط جديدة والإعتماد الواسع على معايير الكفاءة الإقتصادية .
والعولمة أدت أيضا إلى توسيع نشاط الشركات المتعددة الجنسيات وهذا مايسمح بخلق مناصب شغل جديدة وتوسيع دائرة الانتاج وزيادة مستوى التنقل بين دول العالم حيث نشاهد ارتفاع نسبة الهجرة وزيادة المسافرين.

2- سلبيات العولمة

إن التركيز على الجوانب الإيجابية للعولمة هو أمر تحتتمه الضرورة الواقعية وماآلت إليه من تطور ساعد على العصرية ومسايرة الزمان ولكن فيه نوع نت التقريط والتأليه لهذه الظاهرة أدى إلى المبالغة في تحليل نتائجها وأثارها فهي تفضي كذلك إلى آثار سلبية لا ينبغي إهمالها أو نكرانها .

فهي تؤدي كذلك إلى الإنسلاخ عن القيم نتيجة الغزو الثقافي عبر وسائل الاعلام ، وما إنجر عنها من ظهور بعض الأمراض النفسية لدى بعض الأفراد مثل التوحد وإزدواجية الشخصية وإنفصالها في

بعض الأحيان ناهيك عن الفساد الذي لحق ببعض الناس بفعل البرامج الغربية المشوهة والأفلام الجنسية ذات الصور الخليعة التي تتنافى والشرع الاسلامي الحنيف ومانتج عنه من ظواهر خطيرة كالمتاجرة بالأطفال والنساء ، وظاهرة الدعارة ومختلف الجرائم وقد أدت العولمة كذلك إلى عجز الشركات الوطنية من مواجهة قوة الشركات المتعددة الجنسيات التي تعمل على نهب خيرات الشعوب والقضاء على اقتصادها بتدمير مؤسساتها الاقتصادية وتدخلها في الشؤون الداخلية الاقتصادية منها والسياسية للدول خصوصاً الدول النامية .

وأدت العولمة إلى تهميش دور هيئة الأمم المتحدة وتضييق الخناق على عملها ، فأصبحت هيئة الأمم المتحدة في ظل العولمة أداة طيعة في يد الدول الكبرى خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية لخدمة مصالحها ، وهذا ما أدى إلى تكريس السيطرة الأمريكية ، كما ان العولمة أدت إلى تعميق الفجوة بين دول الشمال ودول الجنوب وخلقت نوع من الصراع بين الحضارات كما تكلم عنه هنتجتون صاحب فكرة حتمية صدام الحضارات ومخلفات فلسفة العولمة ، فالسيادة الأمريكية تسعى من خلالها الى القضاء على الدين الاسلامي وتحطيمه فالعولمة أمنت بالعلمانية وتنكرت للأديان الأخرى وخاصة الاسلام ، لذا قال سبحانه تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم : " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " .

من خلال بيان سلبيات العولمة ظهر اصحاب الاتجاه المعارض للعولمة فما هي مبرراتهم؟والى اي مدى يمكن الاخذ بها ؟

ثانيا- رفض العولمة

على الرغم من وجود أشخاص يدافعون عن العولمة ويشيدون بمزاياها وإيجابياتها، إلا أن هناك الكثير من يتعرض لها بالهجوم ويسعى إلى تفنيد حجج كل من يساندها ويؤيدها .

إن هذه الفئة (فئة المعارضين) هي فئة المفكرين الذين يحملون لواء الرفض للعولمة الثقافية وأثرها في المجتمعات العربية الإسلامية بالسلب ومن ثم المعارضة لدعوتها بحجة أنها تنطلق من بلاد حضارتها غير عربية وتراثها وعقائدها وتقاليدها غير إسلامية، لأنها تسعى جاهدة إلى غزو الثقافة العربية وإزالة خصوصياتها، وفرض ثقافة أوروبية أمريكية أحادية محل الثقافة الإسلامية، بالإضافة

إلى ذلك ترى هذه الفئة أن العولمة الثقافية صيغة من صيغ الاستعمار الحضاري الحديث، وتعمل على زعزعة الثقافة العربية، وزلزلة أركانها، وجعلها تسير في ركب الحضارة الغربية.

ويمكننا من الوهلة الأولى أن نحدد أربع لمحات بارزة لهذه الفئة حتى يسهل التعامل معها:
اللمحة الأولى: الإغراق في السلفية، والتمسك الشديد بفكر السلف الصالح، والرجوع إلى المصادر التراثية التقليدية كلما صادفتها مشكلات عصرية تتطلب حلولاً لها.

اللمحة الثانية: مقاومة الفكر الحديث الذي يتميز بالإبداع والابتكار وصب جام الغضب على الذين يجاهرون بقبوله أو استحسانه، بحجة أن هذا الفكر نبت في أرض غير إسلامية، ويعمل على غزو الثقافة العربية والنيل منها.

اللمحة الثالثة: رفض الحوار مع الثقافات والديانات الأخرى، ومع الداعين إلى النظام العالمي الجديد في الاقتصاد أو الحضارة أو الثقافة، بحجة أحادية النظام الإسلامي، وحثمية اتباع العالم لشريعته.

اللمحة الرابعة: العزلة عن كل ما يتصل بالعمولة الثقافية والتقوق داخل الثقافة العربية، والعزوف عن الثقافات الأخرى، والعيش الهنيء في حضن التراث العربي الدافئ من دون إزعاج أو تحديات تقلقه.

إن سياسة العمولة هي فكرة دخيلة على شعوب العالم الثالث ومنه المجتمعات العربية الإسلامية، لأنها تنادي بالتوسع على أبعد نطاق في كل المجالات من أجل أغراض خفية يعلمها الغرب فقط ولو كان على حساب ضياع وخسران هويات الشعوب الضعيفة. ينضوي تحت لواء الاتجاه المعارض للعمولة عدة مفكرين عرب، نذكر منهم "أبو راشد عبد الله" الذي يقول في كتابه (العمولة إشكالية المصطلح ودلالاته في الأدبيات المعاصرة): "أن العمولة تعني: "التعبير عن انسحاق الإنسان أمام سطوة الآلة والتقدم العلمي وتمركز رأس المال، وانعدام القيم الإنسانية والأخلاقية، وسيادة منطق الربح والازدهار الفردي. البقاء للأقوى من خلال تجارة السوق المعلوماتية، والاستلاب الثقافي للشعوب والدول والقوميات"

وهذا تعريف يصنف صاحبه من المتشائمين الذين يرون العمولة إيديولوجيا للإقصاء والتهميش فقط، وتتضح نظريته جلياً عندما يصف العمولة في كتابه (العمولة في النظام العالمي والشرق أوسطية جذور، خلفيات، تحديات)، بأنها: "منظومة متكاملة من العلاقات النفعية المتبادلة، تقوم فلسفتها على الهيمنة والاختراق، وهي إمبريالية المنشأ والتوجه والأسلوب والوسيلة". أما "صادق جلال العظم" فيعارض العمولة هو الآخر، فهو يقول: "هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز وقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ".

ويصفها "وليد عودة" بقوله: "هي موجة جارفة من التحولات الاقتصادية والتقنية عبر العالم، لا تتقيد بحدود وضوابط، ولا يمكن التحكم بها". وهذا الوصف مصدره هذا الانتشار السريع للظاهرة.

ولا شك إن العولمة بهذه الصورة قد تخيف الكثيرين خاصة فيما يتعلق بالاقتصاد حيث تشير أغلب الدراسات إلى أن هناك توقعات خطيرة تنتجها العولمة كزيادة البطالة بسبب التوسع في استخدام الآلة وانخفاض الأجور، وتدهور مستوى المعيشة، وتقلص الخدمات التي تقدمها الدولة، وتفاقم التفاوت في توزيع الثروة بين المواطنين.

ويقول رئيس وزراء ماليزيا "مهاتير محمد"، مشيراً إلى هذا التخوف "إن العالم المعلوم لن يكون أكثر عدلاً ومساواة، وإنما سيخضع للدول القوية المهيمنة، وكما أدى انهيار الحرب الباردة إلى موت وتدمير كثير من الناس، فإن العولمة تفعل أكثر من ذلك في عالم معلوم، سيصبح بإمكان الدول الغنية المهيمنة فرض إرادتها على الباقين الذين لن تكون حالهم أفضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمرين من قبل أولئك الأغنياء".

أي أن العولمة حسب "مهاتير محمد" هي استعمار مقنع أو هي إمبريالية بشكل آخر، وهي تعبير عن الهيمنة والسيطرة.

ويصعب تعريف "مصطفى محمود" في نفس المصباح عندما يقول: "إنما مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته، وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يبقى منه إلا خادم القوى الكبرى".

أما "عماد الدين خليل"، قال: "العولمة مصطلح يعني في ظاهره ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات أو انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار، أما في حقيقة الأمر فإن معناه: تفكيك الأمم والدول والجيش والمجتمع والأسرة، وتجريد الفرد من القيم والأخلاق والمبادئ الدينية المقدسة، ورفع الحواجز والحدود أمام المؤسسات والشركات متعددة الجنسيات

"نادية مصطفى" هي الأخرى تعرضت لموضوع العولمة بالهجاء والتقديح، فقالت: "هي عملية إرادية تعكس اتجاه نموذج حضاري للهيمنة بسبل إكراهية وقسرية على النماذج الأخرى ليس على الأصعدة الاقتصادية والسياسية فقط، ولكن على الصعيد الثقافي بالضرورة.

أما "رجاء جارودي": "العولمة هي نظام يمكن الأقوياء من فرض الديكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق".

اي ان العولمة وسيلة من الوسائل الجهنمية التي تستخدمها الامبريالية في اخضاع الشعوب الضعيفة لماربها الشخصية بحجة التبادل الاقتصادي والتجاري للسلع .

ويرى طه عبد الرحمان ان العولمة هي ازاحة الحواجز والمسافات بين الشعوب والثقافات وانصهار الجميع في نظام عالمي يحول العالم الى قرية الكترونية صغيرة ففي اذن مرحلة ما بعد الحداثة مهندسوها القوى الصناعية الكبرى التي تهيمن بشكل يدمر الاقتصاديات الاستهلاكية الصغرى ويذوب ثقافات الشعوب التابعة ويقتل هوياتها ويفتح المجال امام الاقصاء والجريمة العالمية وانحطاط القيم .

أما "عبد الإله بلقزيز" فقد قال في معارضته للعولمة، بأنها: "الدرجة العليا في علاقات الهيمنة، التبعية، الإمبريالية، وهي لحظة التتويج لانتصار النظام الرأسمالي العالمي كونياً الذي خرج من رحم الدولة الوطنية، وما برحت هذه تعيد إنتاجه داخل حدودها وخارجها على السواء". وفي الإطار نفسه نجد كذلك المفكر المصري "حسن حنفي" هو من الراضين للعولمة: "إن العولمة لصالح الآخر على حساب الأنا أي الذات وقوة الآخر، في مقابل ضعف الأنا وتوحيد الآخر".

إن هذا الرأي يقصد به أن الدول الغربية تتمتع بالقوة ولها دهاء كبير يمكنها من السيطرة على الشعوب الضعيفة خاصة الإسلامية منها، فالبقاء للأقوى هو الشعار الذي تكلم عنه داروين، وهو السائد في العالم المبدأ الذي أكدته أغلب الباحثين حتى مصطفى النشار له آراء في هذا المجال، فهو يستدل بأمثلة مستقاة من الواقع العربي كاستعانتة بأزمة العراق مع الولايات المتحدة الأمريكية ليبين فكرة وحيدة يؤكد أنها هي أن منطق القوة هو المنطق الوحيد الذي ينبغي أن يسود العالم في يسمونه بعصر العولمة أو الكوكبة أو عصر القطب الواحد، وهو المنطق الوحيد الذي يفهمه الغربيون طوال حياتهم لا منطق الحوار والفهم، فمصطفى النشار إذا كان يتفق مع رجاء جارودي في مناهضتها ورفضها للعولمة فإنه يختلف معها في ادعائها بإمكانية الحار بين الدول الغربية والدول الضعيفة من خلال مؤلفها حوار الحضارات، لأنه يعتبر أن الحار غير ممكن عند الغرب، بل القوة هي المعيار الوحيد الذي يسود العالم.

إن للأمريكيين المعاصرين أجداداً في الفكر اليوناني القديم هم من كانوا يلقبون في القرن الخامس قبل الميلاد بالسوفسطائيين، إنهم كانوا يؤمنون بنفس ما يردده الفلاسفة الأمريكيون اليوم من مبادئ المنفعة والقوة، وحينما طرح موضوع العدالة للنقاش عندهم في إحدى محاورات أفلاطون (محاورة الجمهورية)، هب أحد السوفسطائيين ويدعى "تراسيما خوسى"، قائلاً: إن العدالة تسير مع مصلحة الأقوى وجوداً أو عدماً، فالعدالة هي ما يؤمن به الأقوى وما يفرضه على الآخرين، وليس ببعيد عن ذلك الفهم الملتوي لمعنى العدالة، قول أرسطو الفيلسوف الكبير لليونان

القديمة أن الحرب جائزة في حالة واحدة هي حالة اصطياد الأرقاء (العبيد)، فهو ينادي بالقوة، إنه على الرغم من أن أرسطو هو القائل بأن ماهية الإنسان أنه ذلك الحيوان العاقل، إلا أنه حينما يتحدث عن الحرب لا يرى لها ضرورة إلا حينما يقل عدد العبيد الضعفاء في دولة المواطنين الأحرار دولة المدينة بالاصطلاح اليوناني القديم، ومن ثم يمكن لدولة المواطنين الأحرار من اليونانيين أن تشن الحرب على جيرانها من البرابرة.

وحين قرر اليونان غزو بلاد الشرق بقيادة الملك فيليب والد الاسكندر، ونعني ببلاد الشرق فارس والهند ومصر، وعلى الرغم من أن أرسطو الذي كان معلمه بعث إليه برسالة يحذره فيها التعرض لبلاد الشرق بالضرر والغزو لأنه بذلك يتم القضاء على تمييز الجنس اليوناني فكان جوابه أنه يريد السيادة للفكر اليوناني على العالم لكنه فشل في ذلك فالشعوب لا تنازل عن ثقافتها وحقوقها بسهولة فانصهر فكر اليونان في فكر الشرق بسبب انتصار الشرقيين.

وإذا تركنا الماضي البعيد ونظرنا في الماضي القريب مروراً بعصر وسيط تعلم فيه الغربيون لأول مرة المعنى الحقيقي للعدالة ولحقوق الانسان على يد العرب والمسلمين ومن خلال القرآن الكريم الذي تدارسوه جيداً في فجر عصر نهضتهم الحديثة فماذا نجد في هذا الماضي القريب، نجدهم قد انقسموا فريقين الشرق الماركسي والغرب الرأس مالي، هذا يعني أنهم لا يؤمنون الا بالقوة والسيطرة على الشعوب الأخرى التي حاولت تغييرهم بطريق الليونة بحجة أنهم يريدون تحديث هذه الشعوب وتمدينها

وكان جارودي من خلال مؤلفة "حوار الحضارات" يسمى الغرب بإمبراطورية الشر الأبيض، فهو يعتبرها مدينة مادية فارغة من أي محتوى روحاني أو معنوي، ومع ذلك رأى أنه يمكن للغربيين اليوم إذا ما وعوا تلك الحقائق المرة من تاريخهم البعيد والقريب أن يتواضعوا وأن يعترفوا بأهمية الثقافات الأخرى وبإمكانية الاستفادة من المنجزات الحضارية للشعوب الأخرى، ومن ثم أن يقبلوا الحوار مع أبناء هذه الحضارات في عالم يستفيد فيه الجميع من الجميع ويتبادلون الخيرات المعنوية والمادية وقد رددت على ذلك (الكلام يعود على مصطفى النشار) التصور حين قراءتي للترجمة العربية للكتاب تحت عنوان "الحوار المستحيل بين حضارات الشرق وإمبراطورية الشر الأبيض"

وكان فحوى الرد أن الحوار لا يكون الا بين أناس يؤمنون بالحوار ويقبلون الرأي الآخر بأريحية، فهي حضارة القوة لا ينفع أسلوب الرفق معها، وإذا قبلت من الحضارات الأخرى أي شيء فإنها لا

تقبله إلا بعد ا أصبح جزءاً من نسيجها ومنسوباً إليها أي تحت مظلتهم، فهم ينظرون الى الآخرين نظرة استعلاء، أي انهم عنصريين منذ فجر حضارتهم اليونانية.

وإن كان ذلك، كذلك فإن الحوار لا يمكن أن يقبله الغربيون إلا في ظل وجود القوى المتكافئة، فإن كنت قوياً بما فيه الكفاية فهناك مساحة للحوار والتفاهم، وإلا فلتقبل ولتدعن لكل ما يقال دون مناقشة، والقوة لم تبقى عسكرية عندهم فحسب، بل اتسعت لتشمل أيضاً العديد من الاتفاقيات الدولية التي وضعت جميعها لتسهيل مهمة الهيمنة الغربية على الشعوب الأخرى كاتفاقية الجات* الاقتصادية، واتفاقيات الحد من الأسلحة النووية والبيولوجية**.

وعلى ذلك يقول "مصطفى النشار" أنه ليس أمامنا من سبيل سوى رفض قيم العولمة التي هي غربة العالم، وجعل الشعوب الضعيفة شعوب ماسخة لا هوية لها ولا استقلال. إن رفض قيم العولمة الغربية ليس مجرد كلاماً نقوله وكفى، بل ينبغي أن يتحول إلى واقع يبدو في مخططاتنا الثقافية والاقتصادية والسياسية، هكذا قال أن الاعتماد على الغرب لبناء الذات هو محض خرافة علينا أن نعيد بناء أنفسنا من جديد قبل فوات الأوان، فهذا هو المجال الوحيد الذي ينبغي أن نتحرك فيه قبل أن تبتلعنا عولمة الغرب وآلاتها الجهنمي

إن مذهب الأصولية الإسلامية بزعامة أحمد الموصلي هو المذهب الآخر الذي حاول أن يتعرض لظاهرة العولمة بالرفض، إذ يقول لنا بالحرف الواحد: "القومية مرفوضة عند الأصولية لأن مهمة الإسلام ليست الذوبان في المفاهيم الإنسانية المفتعلة داخل او خارج العالم الإسلامي بحكم الأمانة التي ألقاها الله على هذه الأمة التي يجب أن لا تذلل لأحد أو تستعيد لأحد، أو تخضع لجائر او لغاضب لأن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً".

إن دعوة الأصولية الإسلامية إلى رفض القومية العربية ومحاربة العولمة الثقافية، ومقاومة كل ما هو جديد والصدام مع كل فكر حديث، ولعن الابتكار والابداع والتجديد في الثقافات الأخرى بحجة أنها ثقافات تخالف التراث وتعارض مع ما تركه لنا السلف الصالح، سوف يكون دافعاً للعرب من أجل التفكير في بناء أنفسهم بأنفسهم، بعودة الثقة بذواتهم وإمكانياتهم إليهم، والإعراض عن كل ما هو دخيل وغريب عن عاداتنا وتقاليدينا.

أما "محمد عابد الجابري" فهو الآخر يعارض العولمة، فيقول: "العولمة ليست مجرد آلية من آليات النظام الرأسمالي، بل هي أيضاً وبالدرجة الأولى إيديولوجيات تعكس إرادة الهيمنة على العالم، فالعولمة هي إذن ما بعد الاستعمار وهي تستهدف ثلاث كيانات: الدولة والمواطن والأمة كما أنها تعمل على اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغاتها ودولها وأوطانها وأديانها.

أي أن العولمة لا تعترف بالوطن، ولن يتحدد وضع المواطن بحق المساهمة في تدبير المدنية، فالعولمة حتى لو سمينا العالم مدينة لا تعترف بحق مواطنيها وهم المستهلكون لا في الانتخابات ولا في المراقبة... إن لهم حقاً واحداً هو الاتصال بعضهم مع بعض في مجال اللامرئي، يحاور بعضهم بعضاً عن بعد عبر شبكة الانترنت .

عالم العولمة عالم بدون دولة، بدون أمة، بدون وطن ، هو عالم المؤسسات و الشبكات عالم الفاعلين وهم المسيرين والمفعول فيهم وهم المستهلكون للمأكولات والمعلبات والمشروبات والصور والمعلومات والحركات والسكنات التي تُفرض عليهم، أما وطنهم فهو السيبرسبيسي أو الفضاء السيبرنيقي وهو الفضاء الذي تصنعه شبكات الاتصال ويحتوي الاقتصاد والسياسة والثقافة فالعولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن، وفي مقابل ذلك يعمل على التفتيت والتشتيت، إن اضعاف سلطة الدولة والتخفيف من حضورها لفائدة العولمة يؤديان حتماً إلى استيقاظ آخر للانتماء سابقة على الدولة، أعين القبلية والطائفية والجهة والتعصب المذهبي، والنتيجة تفتيت المجتمع وتشتيت شمله .

يرى الجابري أن العولمة هي نهاية السياسة، فإذا كانت السياسة تعني تدبير شؤون الدولة فإن شؤون الدولة تبتلعها العولمة.

إن العولمة تعني أول ما تعني رفع الحواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية، الاقتصادية منها والإعلامية لتمارس سلطتها بوسائلها الخاصة، ولتحل محل الدولة في ميادين المال والاقتصاد والاعلام، وهكذا تقلص شؤون الدولة الى شأن واحد تقريباً هو القيام بدور الدركي لنظام العولمة نفسه، وإذا تقلصت مهام الدولة انحسر مجال السياسة. إن ما يميز السياسة عن العولمة هو أن هذه الأخيرة أي العولمة تقوم على الاتصال أي اتصال الناس ببعضهم البعض عن طريق الأجهزة الالكترونية، أما السياسة فهي تقوم على فكرة الانفصال بحيث أن لكل مواطن داخل دولته رأي يميل إليه مثلما نجد عند الأحزاب السياسية من تعارض في الآراء ووجهات النظر واختلاف تصوراتهم لبعض المفاهيم بحكم أنها تنبع عن الاختيار الذاتي الحر لكل فرد انطلاقاً من رغبته وتوجهه الشخص عكس ما نجده عند الغرب الذي عولم أفراد الشعوب الضعيفة بإرادة منه وأملي عليهم ما أنتجه من حضارة ليتمكن من التحكم فيهم كما يشاء وبالتالي يفرض عليهم ثقافته فرضاً واسعاً ويمنعهم من ممارسة حقهم في التصرف في ابتكاراتهم الشخصية والابداعية وهذا هو القمع الإرهاب الدولي.

هذه هي حجة الجابري في تقرير الفصل بين السياسة والعمولة لأن هذه الأخيرة في نظره تشكل خطراً على الدولة، إن هؤلاء الغرب يعيشون في عالم اللامسياسية وكذلك افراد المجتمعات من العالم الثالث الذين راحوا ضحية لهذا القهر وهذه السياسة، يعيشون بهم الآخرون حالة من البعد عن الدولة وبالتالي لا يخضعون لقانون يحميهم ويحافظ عليهم، غير قانون اصطفاء الأنواع الذي تكلم عنه داروين صاحب نظرية التطوير. هذا على الصعيد العملي القومي، أما على الصعيد النظري العام فيمكن القول ان الوضع في أواخر القرن العشرين هذا الوضع الذي يتميز بـ«غياب السياسة» كما قلنا، وضع ينذر بالفوضى ذلك لأنه إذا غابت السياسة او انتهت فالبديل الحتمي هو الثورة او الفوضى، وبالتالي نكون قد رجعنا لدعوة ماركسي لكن نحن مسلمون ولكيلا نتيه الثورة الكامنة التي تطبع مشارف القرن الواحد والعشرين في متاهات الفوضى والتطرف والإرهاب، لا بد من ماركسي جديد يتلافى اخطاء ماركسي القديم، وفي مقدمتها خطأ إهمال الشأن السياسي، وخطأ العداء للشأن الديني (الدين أفيون الشعوب) وخطأ التنكر للشأن القومي.

وقد عارض جلال امين* العمولة لا لسبب اقتصادي او سياسي بل لسبب ديني لأنها في نظره تفتح أبواب الكفر والزندقة وتؤثر على هوية الأمة."

إضافة على كل ذلك فالعمولة أدت إلى تفشي ظاهرة الإستهلاك المفرط خصوصاً لدى الشعوب المتخلفة وتكريس السياسات الإحتكارية من طرف الشركات المتعددة الجنسيات وهذا ما يؤثر سلباً على اقتصاديات الدول النامية . والإعتماد الواسع في ظل العمولة على التكنولوجيا يؤدي بشكل أو بآخر على تفاقم البطالة خصوصاً في الدول النامية وانتشار التقنيات الحديثة في الانتاج يضعف دور سلطة نقابات العمال والجمعيات المهنية ، كما أن تحرير الإستثمارات في إطار عمولة الإنتاج يتم في صالح الشركات عبر القارات على حساب المصالح الوطنية ، وأيضاً تؤدي العمولة إلى ظهور ضغوط إستهلاكية ثقيلة قد تصل إلى درجة لا يستطيع تلبيتها سوى عدد قليل من المجتمعات .

بعد عرض سلبيات العمولة تبدى لنا ان اصحاب الاتجاه المعارض نوه بالوجهة السلبية فقط للعمولة وبالعكس في عرض المساوىء دون الاشارة الى الجانب الايجابي وهذه دوغماطية و وثوقية زائدة عن اللزوم فهل هذا يجعلنا نقول ان العمولة لهذا الحد تخلو من الايجابيات ؟

الخاتمة

في الأخير يمكن القول أن العولمة سيف ذو حدين فقد تكون إما ان يعرف الإنسان كيف يستفيد منها ودخل فيها بعيون مغلقة ، وقد تكون ايجابية إذا استطاع أن يستخلص مكاسبها ويحاكي لها فالمشكل ليس في النظام العولمي في حد ذاته بل في كيفية التعامل بها ومعها .
قائمة المراجع:

المقالات:

- 1- أبو راشد عبد الله، العولمة إشكالية المصطلح ودلالاته في الأدبيات المعاصرة، مجلة المعلومات الدولية، السنة السادسة، عدد 58، خريف 1998م، ص: 19-25
- 2- أبو راشد عبد الله، العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، جذور-خلفيات-تحديات، ط1، دار الحوار، اللاذقية-سوريا، 1999م، ص: 10
- 3- صادق جلال العظم، ما هي العولمة، مجلة الطريق، بيروت، العدد 4 تموز/آب 1997م، ص: 34
- 4- محاضرة مهاتير محمد في كوالالمبور، نقلاً عن أحمد بن عثمان التويجري في مقاله: الدين والعولمة، من مجلة الإسلام اليوم، العدد 16-17، السنة السابعة عشر، 2000م
- 5- مصطفى محمود، مجلة الإسلام، وطني، العدد 138 ماي/جوان 1998م، ص: 12

الكتب:

- 1- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية (مرجع سابق معتمد)، ص: 112
- 2- عبد الإله بلقزيز، العولمة والممانعة، دراسات في المسألة الثقافية، ط1، بيروت، 2011م، منتدى المعارف، ص: 37
- 3- حسن حنفي، محمد جلال العظم، ما العولمة؟، ط1، دار الفكر-سوريا، سلسلة حوارات لقرن جديد، ص: 20
- 4- مصطفى النشار، ضد العولمة، ط1، أستاذ فلسفة كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1999م، دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 48-49
- 5- أحمد الموصلي، الأصولية الإسلامية والنظام العالمي، د.ط، مركز البحوث والتوثيق، بيروت، 1992م، ص: 52
- 6- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، العولمة (مرجع معتمد في الفصول السابقة)، د.ط، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت، 1997م، ص: 148

• مواقع الانترنت:

- 1- محمد عابد الجابري مفهوم العولمة اخذ عن [https://kwna.net / 2013/01/11/]
- 2- طه عبد الرحمن كتاب "مرشدي في اللغة العربية" اخذ عن الموقع [www.bac20.com].
- 3- جلال الدين أحمد أمين (1935م - 25 سبتمبر 2018م)، عالم اقتصاد وأكاديمي وكاتب مصري. من أشهر كتبه كتاب «ماذا حدث للثقافة في مصر ووالده هو الكاتب أحمد أمين اخذ عن [https://www.google.com]